غزوة حُنَيْن

في شوال سنة ٨ هـ

وكانت في غزوة حُنَيْن[١] دروسٌ يجب أن تُذكر، نحاول أن نقف عند بعضها، لنرى دلالتها فيما نحن بصدده في رؤية ما تَمَّ بعد الفتح الأعظم، فتح مكة.

لقد كانت وقائع فيها تجارب، وفيها آيات أُنزلت، فبقى عطاؤها ممتداً وإن مضت الأحداثُ، نجملها فيما يلي:

سبب الغزوة:

قال ابن إسحاق:

لمَّا سمعت هوازن برسول الله ﷺ وما فتح الله عليه من مكة، جمعها مالكُ ابنُ عوف النَّصْري، واجتمع إليه مع هوازن ثقيفٌ كلُّها، واجتمعت إليه مُضر وجُشَم كلُّها، وسعدُ بن بكر وناس من بنى هلال، وفي جُشَم «دُرَيْد بن الصِّمة» شيخ كبير ليس فيه إلاَّ رأيه ومعرفته بالحرب، وكان شجاعا مجرِّبا.

مسير العدو ونزوله بأوطاس[٢]:

اجتمعت هوازنُ بما جمعت، وأجْمعتِ السَّيرَ إلى رسول الله ﷺ بعدما علمت بفتح مكة، وكان على رأسها مالك بن عوف النَّصْري، الذي ذكرنا ما صار إليه، وما أكرمه الله به من إسلام وصُحبة وجهاد.

وكان من شأنه - حين أعدَّ ما أعدَّ لحرب الرسول ﷺ وأجمع السَّيرَ إليه - أن ساق مع الناس أموالَهم ونساءهم وأبناءَهم.

لمَّا نزل بأوْطاسٍ اجتمع إليه الناسُ، وفيهم دُرَيْدُ بن الصِّمَّة

فلمَّا نزل قال: بأيِّ وادٍ أنتم؟

---

(١) حُنَيْن: واد قريب من الطائف، بينه وبين مكة بضعة عشر ميلاً.

(٢) أوطاس: واد في ديار هوازن.

قالوا: بأوطاس.

قال - والكلام لدُريد -: نِعْمَ مجال الخيل؛ لا حَزْنٌ ضِرِسٌ، ولا سهلٌ دهِسٌ، مالي أسمع رُغاء البعير، ونهاقَ الحمير، وبكاءَ الصبيِّ، ويَعارُ الشاء[1]؟!

قالوا: ساق مالكُ بن عوف مع الناس نساءَهم وأبناءَهم وأموالَهم.

قال دُرَيْدُ بن الصِّمَّة: أين مالِك؟

قيل: هذا مالكٌ، ودُعِيَ له.

قال: يا مالك، إنك قد أصبحت رئيسَ قومك، وإنَّ هذا يوم كائن له ما بعده من الأيام، ما ليَ أسمع رُغاء البعير، ونهاقَ الحمير، وبكاءَ الصبيِّ، ويَعارَ[1] الشاء؟!

قال مالك: سُقتُ مع الناس أبناءهم ونساءهم وأموالَهم.

قال دُريدُ: وَلِمَ؟

قال: أردتُ أن أجعل خلفَ كُلِّ رجُلٍ أهلَه ومالَه ليقاتلَ عنهم.

قال دُريدُ لمالك: راعى ضأنٍ والله. وهل يَرُدُّ المنْهَزِمَ شيءٌ؟! إنها إن كانت لك لم ينفعك إلاَّ رجلٌ بسيفه ورُمحه، وإن كانت عليك فُضِحْتَ في أهلك ومالك.

ثُمَّ قال: ما فَعَلَتْ كعبٌ وكلاب؟ قالوا: لم يشْهَدْها أحدٌ منهم.

قال: غابَ الحدُّ والجِدُّ[2] لو كان يومُ علاءٍ ورِفعةٍ لم يغبْ عنه كعبٌ وكلابٌ، ولوددتُ أنكم فعلتم ما فعلت كعبٌ وكلابٌ.

الرسول ﷺ يستعير أدرعاً من صفوان:

لَمَا أجمع رسولُ الله ﷺ السيرَ إلى هوازن؛ ذُكِرَ له أن عند صفوان بن أُمَيَّة أدْراعاً وسلاحاً، فأرسل إليه - وهو يومئذٍ مشركٌ - فقال: يا أبا أُمَيَّة، أَعِرْنا سلاحَك هذا، نلقى فيه عدوَّنا غداً.

(١) يَعارُ الشاء: أي صياحها. (٢) غابَ الحدُّ والجِدُّ: أي النشاطُ والسرعةُ والمضاءُ في الأمور.

فقال صفوان: أَغَصْباً يا محمد؟

قال ﷺ: بل عاريةٌ مضمونةٌ حتى نؤديها إليك.

فقال: ليس بهذا بأسٌ، فأعطاه مئة درع بما يكفيها من السِّلاح.

فزعموا أن رسول الله ﷺ سأله أن يكفيهم حملَها ففعل.

الجولة الأولى من المعركة:

انتهى الجيش الإسلامي إلى حنين ليلة الأربعاء لعشر خلون من شوال، وكان مالك بن عوف قد سبقهم، فأدخل جيشه بالليل في ذلك الوادي، وفرَّق كمناءه في الطرق والمداخل، والشعاب والأخباء والمضايق، وأصدر إليهم أمره بأن يرشقوا المسلمين أول ما طلعوا، ثم يشدوا عليهم شدة رجل واحد.

وكان رسول الله ﷺ قد خرج إلى حنين في اثني عشر ألفًا، واستعمل ﷺ عَتَّاب بن أُسيدٍ على مكة أميراً، ثُمَّ مضى يريد لقاء هوازن

قال ابنُ إسحاق: حدثني عاصمُ بن عمر بن قتادة، عن عبدالرحمن بن جابر، عن أبيه جابر بن عبدالله قال:

لما استقْبَلْنَا وادي حُنينٍ، انحدرنا في وادٍ من أودية تَهامَة أجوفَ حَطُوطٍ[1] إنما ننحدرُ فيها انحداراً.

قال: وفي عَمايةِ الصُبح، وكان القوم قد سبقونا إلى الوادي، فكمنوا لنا في شِعَابِه وأحنائه ومضايقه، قد أجمعوا وتهيئوا وأعدُّوا، فوالله ما رَاعَنَا - ونحنُ منحطُّون - إلاَّ الكتائب قد شدُّوا علينا شدَّة رجل واحد.

وانشمر الناس راجعين، لا يلوى أحدٌ منهم على أحدٍ، وانحاز رسول الله ﷺ ذات اليمين، ثُمَّ قال: إليَّ أيها الناس؟ هَلُمَّ إليَّ، أنا رسول الله، أنا محمد بن عبدالله.

---

(١) حَطُوط: أي منحدرٍ.

وبقى مع رسـول الله ﷺ نَفَرٌ من المهاجرين والأنصار وأهل بيته، وفيمَن ثَبتَ معه من المهاجرين: أبو بكر، وعمر، ومن أهل بيته: عليٌّ والعبَّاس، وأبو سفيان بن الحارث، وابنه، والفضل بن العبَّاس، وربيعة بن الحارث، وأسامة بن زيد، وأيمن بن أُمِّ أَيْمَن، وقُتِلَ يومئذٍ.

قال ابنُ إسحاق:

ولمَّا انهـزَمَ المسلمون، ورأى مَن كان مع رسول الله ﷺ من جُفاة أهل مكة الهزيمة، تكلَّم رجالٌ منهم بما في أنفسهم من الضِّغْن.

فقال أبو سفيان بن حرب: لا تنتهي هزيمتُهم دون البحر، وإنَّ الأزلام لَمَعَهُ في كِنانَتِهِ.

وصَرَخَ كِلدةُ بن الحنْبل: ألا بَطَل السِّحرُ اليومَ.

فقال له صفوانُ أخوه لأُمِّه - وكان بعدُ مشركًا -: اسكُتْ، فضَّ اللهُ فَاكَ، فوالله لأنْ يَرُبَّني رجلٌ من قريشٍ أحبَّ إليَّ من أن يَرُبَّني رجلٌ من هوازن.

الجولة الثانية من المعركة:

قال ابنُ إسحاق: حدثني الزهْري عن كُثير بن العبَّاس، عن أبيه العبَّاس بن عبدالمطلب قال:

إني لَمَعَ رسول الله ﷺ آخذٌ بحَكَمَةِ بغلتِهِ البيضاء، قد شجرتها - وكنت امرءاً جسيمًا شديدَ الصَّوْتِ - قال رسول الله ﷺ رأى ما رأى من الناس: «إلى أين أيُّها الناس؟!».

قال: فلم أرَ الناسَ يلْوون على شيءٍ.

فقال يا عبَّاس: اُصْرُخ: يا معشر الأنصار، يا معشرَ أصحابٍ السَّمُرة.

فأجابوا: لبيك.. لبيك.

قال: فيذهب الرجل ليثنى بعيره فلا يَقدرُ على ذلك، فيأخذ درعَه فيقذُفها في عُنُقه، ويأخذ سيفَه وقوسَه وتُرْسَه، ويقتحمُ عن بعيره، ويُخَلِّى سبيلَه، ويَؤُمُّ الصوتَ حتى ينتهي إلى رسول الله ﷺ حتى إذا اجتمع إليه منهم مئة، استقبلوا الناس، فاقتتلوا، فكانت الدَّعوة أول ما كانت: يا معشر الأنصار، ثُمَّ خلُصتْ آخراً: يا لَلْخَزرج.

وكانوا صُبُرَاً عند الحرب، فأشْرف رسول الله ﷺ في ركائبه، فنظرَ إلى مجتَلَد القوم وهم يجتلدون، فقال: الآن حَمِيَ الوطِيسُ، وزاد غيره: أَنَا النَّبِيُّ لا كَذِبْ، أَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبْ.

وفي صحيح مسلم: «ثُمَّ أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَصَيَات، فَرَمَى بِهِنَّ وُجُوهَ الْكُفَّارِ، ثُمَّ قَالَ: انْهَزَمُوا وَرَبِّ مُحَمَّد. قَالَ: فَذَهَبْتُ أَنْظُرُ فَإِذَا الْقِتَالُ عَلَى هَيْئَتِه فِيمَا أَرَى. قَالَ: فَوَاللَّه مَا هُوَ إِلاَّ أَنْ رَمَاهُمْ بِحَصَيَاتِه، فَمَا زِلْتُ أَرَى حَدَّهُمْ كَلِيلاً وَأَمْرَهُمْ مُدْبِرًا»(١).

وفي لفظ له: «إنه نَزَلَ عَنِ الْبَغْلَة، ثُمَّ قَبَضَ قَبْضَةً مِنْ تُرَاب مِنَ الأَرْض، ثُمَّ اسْتَقْبَلَ بِه وُجُوهَهُمْ فَقَالَ: شَاهَتِ الْوُجُوهُ. فَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْهُمْ إِنْسَانًا إِلاَّ مَلأَ عَيْنَيْه تُرَابًا بِتِلْكَ الْقَبْضَة، فَوَلَّوْا مُدْبِرِينَ»(٢).

ما كان من شيبةَ بن عثمان الحَجَبيّ:

قال ابن إسحاق:

لَمَّا كان عام الفتح دخل رسول الله ﷺ مكة. قلت: أسيرُ مع قريش إلى هوازن بحُنَيْنٍ، فعسى إن اختلطوا أن أُصيبَ من محمد غِرَّة فأثأرَ منه، فأكونُ

(١) معنى حدهَّم كليلاً: حدٌّ كليل: لا يَقطع، وطَرْفٌ كليل: لا يحقق النظر، والحديث أخرجه مسلم – كتاب الجهاد والسير، حديث رقم ٣٣٢٤.

(٢) مسلم، كتاب الجهاد والسير، حديث رقم ٣٣٢٨.

أنا الذي قمتُ بثأر قريش كلِّها، وأقول: لو لم يبق من العرب والعجم أحدٌ إلاَّ اتبع محمداً ما تبعْتُهُ أبداً، وكنت مرصِداً لَمَا خرجت له، لا يزدادُ الأمر في نفسي إلاَّ قوةً.

فلما اختلط الناسُ، اقتحم رسولُ الله ﷺ عن بغْلَتِه، فأصلَتَ السيفَ فدنوتُ أريدُ ما أريدُ منه، ورفعت سيفي حتى كدتُ أُشعره إيَّاه، فرُفِع لي شُواظٌ من نارٍ كالبرْق كاد يمْحَشُنى، فوضعتُ يدي على بصري خوفًا عليه، فالتفت إلىَّ رسولُ الله ﷺ فناداني: يا شَبِيبُ، ادْنُ منِّى، فدنوت منه، فمَسَحَ صدْري، ثُمَّ قال: «اللهم أعِذْه من الشيطان».

قال: فوالله لَهُوَ كان - ساعَتَئذٍ - أحبَّ إلىَّ من سمعي وبصري ونفسي، وأذْهَبَ الله ما كان في نفسي.

ثُمَّ قال: ادْنُ، فقاتِل، فتقدمت أمامه أضربُ بسيفي، الله يعلم أنى أُحِبُّ أن أقيَه بنفسي كُلَّ شيءٍ.

ولو لقيتُ تلك الساعة أبى - لو كان حَيَّاً - لأوْقَعْتُ به السَّيْف، فجعلتُ ألزمُه فيمن لزِمَهُ، حتى تراجع المسلمون فكرُّوا كرَّة رجلٍ واحدٍ.

وقُرِّبتْ بغلةُ رسول الله ﷺ فاستوى عليها، وخرج في أثرهم، حتى تفرَّقوا في كلِّ وجْهٍ، ورجع إلى معسكرِه، فدخل خِباءه، فدخلت عليه - ما دخل عليه أحدٌ غيري - حُبَّاً لرؤيةِ وجهه وسُرورًا به، فقال: «يا شبيبُ، الذي أراد الله بك خيرٌ مما أردَّتَ لنفْسِك».

ثُمَّ حدَّثني بكل ما أضمرتُ في نفسي، ما لم أكُنْ أذكُرُه لأحدٍ قط.

قال: فقلت: أشهدُ أن لا إله إلاَّ الله وأنك رسول الله، ثُمَّ قلتُ: استغفرْ لي. فقال: غفرَ الله لك.

حركة المطاردة:

ولمَّا انهزم المشركون، أتوا الطائف ومعهم مالك بن عوف وعَسْكَرَ بعضُهم بأَوْطَاس، وتوجَّه بعضُهم نحو نخلة، فبعث رسولُ الله ﷺ في آثار من توجَّه قِبَل أوطاسٍ أبا عامر الأشعري، فأدرك من الناس بعضَ من انهزم، فناوَشُوه القتال، فرُمِيَ بسهمٍ، فَقُتِلَ، فأخذ الرايةَ أبو موسى الأشعري - وهو ابنُ أخيه - فقاتَلهم، ففتح الله عليه فهزمهم الله، وقَتَل قاتلَ أبى عامر، فقال رسول الله ﷺ: «اللهم اغفر لعُبيد أبى عامر وأهلَه، واجعله يوم القيامة فوق كثير من خلقك» واستغفرَ لأبى موسى، ومضى مالكُ بن عوف حتى تحصنَ بحصن ثقيف.

ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتُكم:

اقتضت حكمة الله تعالى أن أذاق المسلمين - أولاً - مرارَة الهزيمة والكَسْرة - مع كثرة عددهم وعُدَدهم وقوة شوكتهم - ليُطَامِن رؤوساً رُفعَتْ بالفتح ولم تدخل بلدَه وحرَمه، كما دَخَله رسولُ الله ﷺ واضعًا رأسَه مُنْحَنِياً على فرسه، حتى إنَّ ذقْنَه تَكَادُ تَمَسُّ سَرْجَه تواضُعاً لربِّه وخضوعًا لعظمته واستكانةً لعزّته أنْ أحَلَّ له حرمَه وبَلَدَه، ولم يحلَّ لأحد قبله، ولا لأحدٍ بعده.

وليُبَيِّنَ - سبحانه - لَمن قال: «لن نُغْلَب اليوم عن قِلّة» أنَّ النَّصْر إنَّما هو من عند الله، وأنَّه من ينصرُه فلا غالب له، ومن يَخْذُله فلا ناصر له غيره.

وأنه - سبحانه - هو الذي تولَّى نَصْرَ رسوله ودينَه، لا كثرتُكم التي أعجبتكم، فإنَّها لم تُغْنِ عنكم شيئاً، فوليتم مُدبرين.

فلمَّا انكسرت قلوبُهم، أُرسِلَتْ إليها خِلَعُ الجَبْر مع بريد النَّصْر، فأنزل الله سكينتَه على رسوله وعلى المؤمنين، وأنزل جنوداً لم تروها.

وقد اقتضت حكمتُه أنَّ خِلَعَ النَّصْر وجوائزَه، إنما تفيض على أهل الانكسار.

قال تعالى: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ۝٥ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾(١).

لم تكن هذه الآيات مجرد إخبار عمَّا وقع في غزوة حُنَيْن فحسب، وإنَّما كانت - بنزولها وحفظها في الذكر الحكيم - حديثًا للخَلْق جميعًا إلى يوم الدين، ليَعْرف مَن يؤمن بربِّه كيف يَرْجُو فوزَه ونصرَه، ويطلب عفْوَه ومَغْفِرتَه

﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ۝٢٥ ثُمَّ أَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ۝٢٦ ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾(٢).

والمعنى: لقد نصركم الله - أيها المؤمنون - في مواقع كثيرة، خُضتم فيها معاركَ مع أهل الشرك، كبَدْر وقُريظة والنضير والحديبية وخَيْبَر ومكة، وذلك لأنكم نَصَرتُموهُ بصدْق جهادكم، فهيأ لكم ثمارَ النَّصْر وفاءً بوعده الكريم في قوله: ﴿إِن يَنصُرْكُمُ اللَّهُ فَلا غَالِبَ لَكُمْ﴾(٣).

وقوله: ﴿إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ﴾(٤).

وقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئاً﴾ أي: ونَصَركم الله يومَ حُنَيْن مع أنَّكم قَصَّرتُم فيه، إذ أعجبتكم كثرتُكم، فتراخَيْتُم في القتال اعتماداً عليها، فلم تُفْدكم هذه الكثرة شيئًا في دَفْع العدو،

(١) القصص: ٥، ٦.
(٢) التوبة: ٢٥، ٢٧.
(٣) آل عمران: ١٦٠.
(٤) محمد: ٧.

وضاقت عليكم الأرضُ مع اتِّساعها من شدَّة الرُّعب والفَزَع، فقد خُيِّل إليكم أن رحابها أُغلقت في وجوهكم، فلا تجدون فيها موضعًا تطمئنون فيه وتثبتون.

نُصرتم بذلك، كمن ضاقت عليهم الأرضُ مع اتِّسَاعها، فلا يجدون فيها مكاناً يَسَعُهم، ثُمَّ انصرفتم من وجه العدو متقهقرين.

*****

إنَّ ما حدث في هذه الغزوة كان دَرْساً استفاد منه المسلمون، فلم تُسمع منهم - من بعد في جهادهم - هذه الكلمة الخاطئة «لن نُغلب اليوم من قلَّة» إعجاباً بقوتهم وكثرتهم.

بل كانت وصاياهم وأعمالُهم دالَّةً على رُشدهم، وأنَّ نَصْرَهم إنَّما يكون بانتصار الفضائل في أنفسهم.

وإنَّما تَكْثُر الجنودُ بالنَّصْر، وتَقِلُّ بالخُذْلان لا بَعَدَد الرجال..

نعم: تعلَّموا الدرسَ في حُنَيْن، وجاء الوحيُ ليذكرهم ومَن جاء بعدهم أن يكونوا على حَذَر من المعاصي فإن «ذنوب الجُند أخوفُ عليهم من عدوِّهم، وما لم ننتصر على أعدائنا بفضلنا، لم نستطع أن نغلبهم بقوتنا»

نسأل الله العَوْنَ على أنفسنا، كما نسأله النَّصْر على أعدائنا.

ولذا فإنَّ ما أنزل الله في غزوة حُنَيْن من قرآن يُتْلَى على مرِّ الزمان، لا يُخاطب الناسَ بحَدَث مضَى وانقضى، وإنَّما يُخاطبهم بسُنن باقية، وإن كانت في أحداث واقعة ذاهبة، فإن رؤيتَها في وقائع وأحداث أبلغُ أثراً وأعظم شأناً، وأبقى عِظَةً وتذكرةً.

ومن أجل ذلك حُفظ الذِّكرُ بحِفْظ الله، لا بحفظ أحدٍ سواه، فمن طلب نصرَه فَلْيَنْصُره في نفسه: قولاً وعملاً وقصدا، وليذكُر - وهو يتلو هذه الآيات - أن للَّه جنداً يُرسلهم وسكينةً يُنزلها لنَصْر مَن أخلص قَصْدَه، وحسن عمله.

﴿وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾(١).

جاء في الصحيحين أن رجلاً قال لِلْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ: «أَفَرَرْتُمْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ حُنَيْنٍ؟ قَالَ: لَكِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمْ يَفِرَّ، إِنَّ هَوَازِنَ كَانُوا قَوْمًا رُمَاةً، وَإِنَّا لَمَّا لَقِينَاهُمْ حَمَلْنَا عَلَيْهِمْ فَانْهَزَمُوا، فَأَقْبَلَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى الْغَنَائِمِ، وَاسْتَقْبَلُونَا بِالسِّهَامِ، فَأَمَّا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَلَمْ يَفِرَّ، فَلَقَدْ رَأَيْتُهُ - وَإِنَّهُ لَعَلَى بَغْلَتِهِ الْبَيْضَاءِ - وَإِنَّ أَبَا سُفْيَانَ آخِذٌ بِلِجَامِهَا، وَالنَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ: أَنَا النَّبِيُّ لا كَذِبْ، أَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبْ»(٢).

هكذا كان الثَّباتُ لِمَن ثَبَتَ مع رسول الله ﷺ حتى جاء النَّصر، وخذل العدو.

وكان ممَّن ثَبَتَ ثباتاً يُحبُّه الله: أبو سفيان بن الحارث ابنُ عمِّ رسول الله ﷺ، وكان من أشدِّ الناس عداءً له قبل إسلامه.

وقد ذكر ابنُ إسحاق ما كان عليه حال المسلمين بعد ثباتهم، قال: واجْتَلَدَ الناسُ، فوالله ما رجَعَتْ راجعةُ الناس من هزيمتهم حتى وجدوا الأسارى عند رسول الله ﷺ.

قال: والتَفَتَ رسولُ الله إلى أبى سفيان بن الحارث بن عبدالمطلب - وكان ممَّن صَبَرَ يومئذٍ مع رسول الله ﷺ، وكان حَسَن الإسلام حين أسلم - وهو آخذٌ بثغر بغلته، فقال: من هذا؟ قال: أنا ابن أمِّك يا رسول الله.

غزوة حنين في بيان السنة المطهرة:

روى مسلم عن العَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ قَالَ:

«شَهِدْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ حُنَيْنٍ، فَلَزِمْتُ أَنَا وَأَبُو سُفْيَانَ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَلَمْ نُفَارِقْهُ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى بَغْلَةٍ لَهُ بَيْضَاءَ

---

(١) الحج: ٤٠.

(٢) البخاري - كتاب الجهاد والسير، حديث رقم ٢٦٥٢، كتاب المغازي، حديث رقم ٣٩٧٥، مسلم - كتاب الجهاد والسير، حديث رقم ٣٣٢٧.

أَهْدَاهَا لَهُ فَرْوَةُ بْنُ نُفَاثَةَ الجُذَامِيُّ، فَلَمَّا الْتَقَى الْمُسْلِمُونَ وَالْكُفَّارُ وَلَّى الْمُسْلِمُونَ مُدْبِرِينَ، فَطَفِقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَرْكُضُ بَغْلَتَهُ قِبَلَ الْكُفَّارِ.

قَالَ عَبَّاسٌ: وَأَنَا آخِذٌ بِلِجَامِ بَغْلَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَكُفُّهَا إِرَادَةَ أَنْ لا تُسْرِعَ، وَأَبُو سُفْيَانَ آخِذٌ بِرِكَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَيْ عَبَّاسُ، نَادِ أَصْحَابَ السَّمُرَةِ.

فَقَالَ عَبَّاسٌ - وَكَانَ رَجُلاً صَيِّتًا -: أَيْنَ أَصْحَابُ السَّمُرَةِ؟ قَالَ: فَوَاللَّهِ، لَكَأَنَّ عَطْفَتَهُمْ حِينَ سَمِعُوا صَوْتِي عَطْفَةُ الْبَقَرِ عَلَى أَوْلادِهَا، فَقَالُوا: يَا لَبَّيْكَ، يَا لَبَّيْكَ. قَالَ: فَاقْتَتَلُوا وَالْكُفَّارَ وَالدَّعْوَةُ فِي الأَنْصَارِ يَقُولُونَ: يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ، يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ. قَالَ: ثُمَّ قُصِرَتِ الدَّعْوَةُ عَلَى بَنِي الْحَارِثِ بْنِ الْخَزْرَجِ فَقَالُوا: يَا بَنِي الْحَارِثِ بْنِ الْخَزْرَجِ، يَا بَنِي الْحَارِثِ بْنِ الْخَزْرَجِ، فَنَظَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ عَلَى بَغْلَتِهِ كَالْمُتَطَاوِلِ عَلَيْهَا إِلَى قِتَالِهِمْ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: هَذَا حِينَ حَمِيَ الْوَطِيسُ.

قَالَ: ثُمَّ أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَصَيَاتٍ، فَرَمَى بِهِنَّ وُجُوهَ الْكُفَّارِ، ثُمَّ: قَالَ انْهَزَمُوا وَرَبِّ مُحَمَّدٍ.

قَالَ: فَذَهَبْتُ أَنْظُرُ، فَإِذَا الْقِتَالُ عَلَى هَيْئَتِهِ فِيمَا أَرَى، وَاللَّهِ مَا هُوَ إِلاَّ أَنْ رَمَاهُمْ بِحَصَيَاتِهِ، فَمَا زِلْتُ أَرَى حَدَّهُمْ كَلِيلاً وَأَمْرَهُمْ مُدْبِرًا»[1].

وروى مسلم عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه أن أُمَّ سُلَيْمٍ اتَّخَذَتْ يَوْمَ حُنَيْنٍ خِنْجَرًا، فَكَانَ مَعَهَا، فَرَآهَا أَبُو طَلْحَةَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَذِهِ أُمُّ سُلَيْمٍ مَعَهَا خِنْجَرٌ.

فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَا هَذَا الْخِنْجَرُ؟

قَالَتْ: اتَّخَذْتُهُ إِنْ دَنَا مِنِّي أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ بَقَرْتُ بِهِ بَطْنَهُ، فَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَضْحَكُ.

قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، اقْتُلْ مَنْ بَعْدَنَا مِنَ الطُّلَقَاءِ انْهَزَمُوا بِكَ.

---

(١) مسلم - كتاب الجهاد والسير، رقم ٣٣٢٤.

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: يَا أُمَّ سُلَيْمٍ، إِنَّ اللَّهَ قَدْ كَفَى وَأَحْسَنَ)[١].

وواضحٌ أنَّ أمَّ سُليم لم تكن راضيةً عن فِرار من فَرَّ، وطلبت عقابهم، فقال لها الرسول ﷺ: «إنَّ الله قد كَفَي وأحْسَن».

وفي الحديث المتفق عليه عن أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ:

«لَمَّا فَرَغَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ حُنَيْنٍ، بَعَثَ أَبَا عَامِرٍ عَلَى جَيْشٍ إِلَى أَوْطَاسٍ، فَلَقِيَ دُرَيْدَ بْنَ الصِّمَّةِ، فَقُتِلَ دُرَيْدٌ، وَهَزَمَ اللَّهُ أَصْحَابَهُ.

قَالَ أَبُو مُوسَى: وَبَعَثَنِي مَعَ أَبِي عَامِرٍ، فَرُمِيَ أَبُو عَامِرٍ فِي رُكْبَتِهِ، رَمَاهُ جُشَمِيٌّ بِسَهْمٍ فَأَثْبَتَهُ فِي رُكْبَتِهِ، فَانْتَهَيْتُ إِلَيْهِ فَقُلْتُ: يَا عَمِّ، مَنْ رَمَاكَ؟

فَأَشَارَ إِلَى أَبِي مُوسَى فَقَالَ: ذَاكَ قَاتِلِي الَّذِي رَمَانِي، فَقَصَدْتُ لَهُ فَلَحِقْتُهُ، فَلَمَّا رَآنِي وَلَّى، فَاتَّبَعْتُهُ، وَجَعَلْتُ أَقُولُ لَهُ: أَلاَ تَسْتَحْيِي؟ أَلا تَثْبُتُ؟ فَكَفَّ فَاخْتَلَفْنَا ضَرْبَتَيْنِ بِالسَّيْفِ فَقَتَلْتُهُ، ثُمَّ قُلْتُ لأَبِي عَامِرٍ: قَتَلَ اللَّهُ صَاحِبَكَ. قَالَ: فَانْزِعْ هَذَا السَّهْمَ، فَنَزَعْتُهُ، فَنَزَا مِنْهُ الْمَاءُ. قَالَ: يَا ابْنَ أَخِي، أَقْرِئِ النَّبِيَّ ﷺ السَّلاَمَ، وَقُلْ لَهُ: اسْتَغْفِرْ لِي.

وَاسْتَخْلَفَنِي أَبُو عَامِرٍ عَلَى النَّاسِ، فَمَكُثَ يَسِيرًا ثُمَّ مَاتَ، فَرَجَعْتُ فَدَخَلْتُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فِي بَيْتِهِ عَلَى سَرِيرٍ مُرْمَلٍ وَعَلَيْهِ فِرَاشٌ قَدْ أَثَّرَ رِمَالُ السَّرِيرِ بِظَهْرِهِ وَجَنْبَيْهِ، فَأَخْبَرْتُهُ بِخَبَرِنَا وَخَبَرِ أَبِي عَامِرٍ، وَقَالَ: قُلْ لَهُ اسْتَغْفِرْ لِي

فَدَعَا بِمَاءٍ فَتَوَضَّأَ، ثُمَّ رَفَعَ يَدَيْهِ فَقَالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِعُبَيْدٍ أَبِي عَامِرٍ. وَرَأَيْتُ بَيَاضَ إِبْطَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَوْقَ كَثِيرٍ مِنْ خَلْقِكَ مِنَ النَّاسِ.

فَقُلْتُ: وَلِي، فَاسْتَغْفِرْ فَقَالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ قَيْسٍ ذَنْبَهُ، وَأَدْخِلْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مُدْخَلاً كَرِيمًا. قَالَ أَبُو بُرْدَةَ: إِحْدَاهُمَا لأَبِي عَامِرٍ وَالأُخْرَى لأَبِي مُوسَى»[٢].

*****

(١) مسلم – كتاب الجهاد والسير، حديث رقم ٣٣٧٤.

(٢) البخاري كتاب المغازي – حديث رقم ٣٩٧٩، مسلم – كتاب فضائل الصحابة، حديث رقم ٤٥٥٤.